

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

@ 306 @ ونشأ بها فى نعمة أبيه وكان أبوه كاتباً فى العمارة السلیمانية بالمیدان الاخضر وكان ذا ثروة عظيمة يضرب به المثل فى كثرة المال وجده یونس رومی ورد فى خدمة السلطان سلیم لما جاء الى دمشق واستخلصها من أیدی ملوك الجراكسة وأما لطفی هذا فان والده مات وهو فى سن خمس وعشرين تقريبا وخلف له ما ینیف على عشرين ألف ديناراً ومن الملبوس الفاخر والاملاك شیئاً كثيراً فسلک أولاً طریق العلم فقراً ودأب وأخذ الصرف والنحو والمعانى عن العلامة الكبير علاء الدین بن عماد الدین الاحدب وأخذ الفقه والاصول عن علماء ذلك العصر والحديث والتفسير عن البدر الغزى وأتقن فنونا كثيرة وتأدب كثيراً ونقلت من خط الحسن البورینى أنه رافقه فى القراءة على فاضل الشرق العماد السمرقندى لما ورد دمشق صحبة الوزير حسن باشا ابن محمد باشا قال وقرأنا علیه المعقولات فتشاركنا فى هداية الحکمة والمنطق والهيئة وكنا كل يوم نقرأ علیه فى درس واحد وذلك فى فن واحد لا غير وفى يوم آخر نقرأ دروساً فى غير ذلك وكان ذلك الدرس الواحد يطول من كثرة التحقیقات من مطلع الشمس الى وسط النهار وكان العماد المذكور فى المعقولات كالسعد التفتازانى فى عصره فاستمرت قراءتنا علیه فى تلك الفنون الثلاثة مدة ثلاث سنين انتهى ثم بعد ذلك تنقلت بلطفی الاحوال وابتلى فى بصره من كثرة الرمد والوجع فقل نظره جداً من تراکم الوجع على عينیه فكان له شوق لحفظ كلام الله تعالى قيل انه اشترى جارية حسناء وكانت تقرأ القرآن أحسن قراءة فحفظه منها أتم حفظ وكان له طلبية يطالعون له الكتب بأجرة وهو يحفظ ما یسمع من العبارات من قراءتهم حتى حفظ كتباً كثيرة فى سائر الفنون فصار آية عظيمة فى جميع الفنون خصوصاً فى فنون الادب برمتها وكان اذا أراد ايراد شیء من هذه الفنون یملى العبارات كما هى من حفظه ثم ترك القراءة واشتغل بهوى نفسه وعاشر القينات والغلمان ومما اتفق له أنه تعشق ولدين للشرفى یحیی بن شاهین الصالحى أحدهما يدعى ابراهيم والآخر درویشا وكانا بارعین فى الجمال وصرف علیهما جميع ما اقتناه من تراث أبيه وكان یوقد بحضرتهما فى مجلس المدام ثلاث شموع من الشمع العسلى ویضع فى كل واحدة ما یزید على خمسين ديناراً فكلما ذاب منها شیء یسقط دينار فیتنا وله أحد الغلامین ودام على هذا زماناً حتى فقد منه المال وأثرى ابراهيم وصار ذا دائرة واسعة وبقي هو صفر الیدین وآل أمراه الى بیع